The centrality of Sufism in understanding the Bahaia religion

Saadoon Mohsin Damad
damad_s@yahoo.com
Assistant Professor: Khalid Hantoosh Sachjt
dr.khalidhantoosh@gmail.com
Baghdad University/ Department of Sociology

DOI: 10.31973/aj.v3i137.1684

Abstract:

This research deals with the Baha'i religion, in an attempt to overcome the misunderstanding surrounding it, whereby the believers were treated as a group trying to destroy the Islamic religion, and the claim of Bahaullah as the Messenger of this time was also met, as well as his claim that he was the last transfiguration of God was accepted as a form of heresy and deviation from The den. Which required that a campaign of skepticism and accusation was launched that did not end until now, as religion was accused of being driven by international intelligence, or that it was a branch of Freemasonry. Until now, this religion has not been widely recognized.

The process of deciphering the ambiguity carried out by this research is based on using the Sufi root in it to provide a clear explanation of everything that is raised around it, which is believed to be contrary to Islam or used to destroy it and expose its beliefs to deliberate distortions.

It is well known that Sufism is based on presenting two understandings of religion, and indeed of life in general, both outward and mystical, and the esoteric understanding is based on a process of interpretation of almost everything and dealing with life and people as manifestations of the revelation of God, and the journey of mysticism is based on several levels, it comes in Its end is the order of union with the truth, whereby the Sufi speaks her name or expresses her will. Accordingly, it is not surprising that Hussain is based on the Mazandaran, who according to this research is a Sufi in the Shaykh-Shiite way, presenting himself as a manifestation of the revelation of God, just as the faith of the believers in his claim is no longer surprising if we present them as Sufi, and it has often been issued by the sheikhs of Sufism in history The Islamic claims are similar.
Keywords: (Sufism, religion, Baha'i)

مركزية التصوف في فهم الدين البهائي

الباحث سعدون محسن ضمد
جامعة بغداد /قسم علم الاجتماع
damad_s@yahoo.com

أ. م. د: خالد حنتوش ساجت
جامعة بغداد/ قسم علم الاجتماع
dr.khalidhantoosh@gmail.com

(مُلَخَّصُ البَحث)

يتناول هذا البحث الديانة البهائية، في محاولة لتجاوز سوء الفهم الحاصل حولها، حيث عومل المؤمنون بها باعتبارهم جماعة تحاول تهديم الدين الإسلامي، كما قوبلت دعوى بهاء الله بانه رسول هذا الزمان، وكذلك دعواه بانه التجلي الأخير لله، قوبلت باعتبارها نحو من أنحاء الزندقة والانحراف عن الملة. وهو ما اقتضى أن تشن حملة تشكيك واتهام لم تنته إلى الآن، حيث اتهمت الديانة بأنها مدفوعة من قبل مخابرات دولية، أو أنها فرع من فروع الماسونية. والى الان لم يتم الاعتراف بهذه الديانة على نطاق واسع.

وعملية فك الالتباس التي يقوم بها هذا البحث ترتكز على استعمال الجذر الصوفي فيها لتقديم تفسير واضح لكل ما يثار حولها مما يعتقد بانه مناقض للإسلام أو مستعمل لهدمه وتعريض عقائده لعمليات تحريف مقصودة.

إذ من المعروف بأن التصوف يرتكز على تقديم فهمين للدين، بل وللحياة عموماً، فهم ظاهري وآخر باطني، ويقوم الفهم الباطني على عملية تأويل لكل شيء تقريباً والتعامل مع الحياة والناس على انهم مظاهر لتجلي الله، كما أن رحلة التصوف تقوم على مراتب عدة، يأتي في نهايتها مرتبة الاتحاد بالحقيقة، حيث يكون الصوفي ناطقا باسمها أو معبراً عن إرادتها. وعليه فليس من المستغرب أن يقوم حسين على المازندراني وهو بحسب هذا البحث صوفي على الطريقة الشيخية الشيعية، يقوم بتقديم نفسه باعتباره مظهرا لتجلي الله، كما أن إيمان المؤمنين بدعواه هذه لا يعود مستغربا إذا قدمناهم على أنهم صوفية، وكثيرا ما صدرت عن مشايخ التصوف في التاريخ الإسلامي دعاوى مشابهة.

الكلمات المفتاحية: (تصوف، دين، بهائية)

المقدمة

لا يمكن الحديث عن دور التصوف في نشوء الديانة البهائية دون المرور على الطريقة الشيخية أولاً، على الأقل فيما يتعلق بالخط الذي اختطه الشيخ الإحسائي فيما يتصل بفتح باب البحث عن الإمام الغائب والتبشير بقرب ظهوره، ثم المرور على البابية ثانياً، باعتبارها النتيجة المباشرة للدعوة الشيخية. ذلك أن الشيخ أحمد زين الدين الإحسائي هو الأستاذ المباشر لكاظم الرشتي الذي يعتقد البابيون والبهائيون بأن أولى الإشارات لخصوصية الباب

"علي محمد الشيرازي" صدرت منه، وذلك يوم زار الباب كربلاء ضمن رحلة بدأها بمغادرة بوشهر سنة 1841م، وزار مجلس الرشتي، الذي قابله، بحسب ما ينقل البهائيون، بحفاوة بالغة رغم صغر سنه وعدم معرفته المسبقة به، وهو أمر أدهش تلامذة الرشتي (مارتن، 2002، ص35). بل هناك من يقول بأنه هو الذي أوحى إليه بأنه سيكون هو الباب المؤدي لإمام الشيعة الغائب[1]. وهذا مستبعد عندنا، فهو أولاً رأي متحامل على البابية والبهائية، ينظر إليها بعين مجانبة لموضوعيّة البحث. وينطلق من رؤية تعتقد بأن هذه الدعوة/ الدين، هي حصيلة مؤامرة محبوكة، بغرض هدم الإسلام، من قبل الرشتي والبشروئي، وربما بدفع وإملاء أجنبي مخابراتي، كما سيتضح لاحقاً. وأنهما قاما بتغرير الباب وإقناعه بأنه ذو أهمية بالغة وأنه هو الموعود بالإنقاذ.

ومن جهة أخرى بحسب ما نرى، فإن البابية بالغوا بموضوع حفاوة الرشتي بالباب، من أجل أن يكسب الباب أهمية مُبَكِّرة، وتكون لهذه الأهمية أبعاداً غيبية، وكذلك من أجل ربط دعوة الباب بآراء الإحسائي، فيما يتعلق بقرب ظهور الإمام "المهدي"، وهي آراء عاملها البابيون والبهائيون معاملة التنبوءات. ومن هنا صار الربط بين الباب وبين كاظم الرشتي مهمّاً جداً. لكن هذا الربط الذي دار حول اللقاء السريع بين الشخصيتين، بدى لمن لا ينتمون لا للبابية ولا للبهائية، وكأنه غير مبرر، وغير مفهوم، لأنه يرتبط بثقافة غير مشهورة، وهذه الثقافة تتضمن علاقات وعادات ورموز ودلالات يجب تفسيرها وتأويلها قبل إعطاء الرأي بشأنها. ومن هنا جاءت تفسيراته متضاربة ومتخبطة.

وفي إطار التوفيق بين حصول اللقاء والاهتمام، وبين تحميله ما لم يحتمل، نورد رأيا، سنتعرض لتفصيلاته لاحقاً، وهو تقديم تفسير صوفي لهذا اللقاء، فمن الشائع في الثقافة الصوفية وعند شيوخ الصوفية ومعلميهم، والرشتي نموذجا من نماذج هذه الثقافة، أن الشيوخ لديهم خبرة طويلة فيما يتعلق بالشخص المؤهل لسلوك طريقهم وتحصيل درجاته العالية. وهذه النظرة اكتسبوها من طول تعاملهم مع طالبي التتلمذ على ايديهم ومن خبرتهم في تربيتهم. فمن المعروف أن سلوك طريق التصوف يتضمن رياضات جسدية ومعنوية لا يستطيع أدائها إلا اشخاص مميزون بميزات جسدية وإدراكية خاصَّة[2].

وفي هذا الصدد يمكن إيراد حادثة مشهورة عن أبي يزيد البسطامي، تكشف عن أن شيوخ التصوف يبحثون عن مميزات خاصة في مريديهم، فإن توفرت اولوهم اهتماماً فائقاً.

---

[1] يعتقد البابيون والبهائيون، أن المراد من لفظة "باب" لا علاقة له بالمعنى المتداول عند الشيعة، وهو المعنى المتعلق بغيبة الإمام الثاني عشر "المهدي" ولا له علاقة بتراث السفراء الأربعة ممن مثّلوا باب الاتصال بينه وبين الناس.

[2] ليس المقصود هنا بالتميز أنهم أذكياء أو لديهم مميزات عبقرية، لكن نمط الإدراك لديهم مناسب لما يحتاجه التصوف، كما أن الإبداع في مجال الهندسة المدنية، مثلاً، يحتاج إلى مميزات في وعي مناسب تختلف عن تلك التي يحتاجها النجاح في الرسم.

وإلا تركوهم دون أن يولوهم أي عناية. ((كان رجل من أهل بسطام لا ينقطع عن مجلس أبي يزيد ولا يفارقه. فقال له ذات يوم: أستاذ! أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر وأقوم الليل، وقد تركت الشهوات وليس أجد في قلبي من هذا الذي تذكره شيئاً بتَّة. وأنا أؤمن بكل شيء تقوله وأصدق به.قال له أبو يزيد: لو صمت ثلاثمائة سنة وقمت ثلاثمائة سنة وأنت على ما أنت على ما أراك لا تجد من هذا العلم ذرَّة.

قال: ولم يا أستاذ؟

قال: لأنك محجوب بنفسك.

قال له: فلهذا دواء حتى ينكشف الحجاب؟

قال: نعم ولكنك لا تقبل ولا تعمل.

قال: بلى أقبل وأعمل ما تقول.

فقال له أبو يزيد: اذهب الساعة إلى الحجّام واحلق رأسك ولحيتك وانزع عنك هذا اللباس وأتزر بعباءة وعلّق في عنقط مخلاة واملأها جوزاً واجمع حولك صبياناً وقل بأعلى صوتك: يا صبيان! من صفعني صفعة أعطيته جوزة. وادخل إلى سوقك الذي تعظم فيه وينظر إليك كل من عرفك على هذه الحالة.

فقال: يا أبا يزيد! سبحان الله! تثول لي مثل هذا ويحسن أن أفعل هذا؟

فقال أبو يزيد: قولك (سبحان الله) شرك.

قال: وكيف؟

قال أبو يزيد: لأنك عظمت نفسك فسبحتها.

فقال يا أبا يزيد! هذا ليس أقدر عليه ولا أفعله؛ ولكن دلني على غير هذا حتى أفعله.

فقال له أبو يزيد: أبتدئ بهذا قبل كل شيء حتى تسقط جاهك وتذل نفسك، ثم بعد ذلك أعرفك ما يصلح لك.

فقال له: لا أطيق هذا.

قال: قلت أنك لا تقبل وأنا أعلم)) (بدوي، ص113).

وهكذا نلاحظ قضيتين في هذه الحكاية المنقولة عن أبي يزيد، الأولى هي: صعوبة الرياضات التي يكون المريد عرضة لها. والثانية: كيف أن أبا يزيد يعتقد أن شعور المريد بأن له جاه وحضور في المجتمع لا يتناسب وسلوك طريق الصوفية، ولذلك عليه أن يتخلى عن هذا الامتياز أو لا يتم قبوله كتلميذ داخل دائرة تلاميذ أبي يزيد البسطامي، ومن وجهة نظر الصوفية، فإن الاهتمام بالجاه والمكانة، ستشغل ذهن التلميذ عن تحصيل الواردات الإلهية، أو تلقي الفيوضات الرحمانية كما يعبرون، لأن المكترث بالمظاهر، لن يكون مخلصا في عباداته، ومن لا يكون مخلصاً في عباداته، لن يستطيع أن يشعر بنقاء القلب

والسريرة بدرجة تمكنه من تحقيق مستوا من الصفاء والاستقرار النفسي تجعله متهيئا لتلقي "الفيوضات الإشراقية".

وبالعودة إلى طريقة تعامل أبي يزيد مع طالب التتلمذ، نجد بأن أبا يزيد لم يحفل بكون الرجل صاحب جاه ومكانة بين الناس، بل اعتبر هذه الصفات بمثابة نقص فيه، ومن هنا نستطيع أن نفهم استنكار أو استغراب من استغرب من حفاوة الرشتي بالباب، رغم أنه يراه لأول مرة، ورغم أنه محاط بالكثير من التلاميذ. فالرشتي، بحسب راينا، لم يكن يبحث عن تلاميذ مميزين في الفقه أو أصول الدين، بل عن مؤهلين لسلوك طريق العرفان والتصوف.

على هذا الأساس ووفق هذا المنطق يمكن للرشتي أن يكون قد لاحظ شيئاً مميزاً بالشيرازي الباب، فأولاه اهتماماً خاصاً. وهذا ما فعله الباب نفسه حيث انتخب جملة من تلامذته ليكونوا سفراء دعوته والقائمين عليها. ونحن نرى بأن هذا الاختيار لم يأت جُزافاً، وأن هؤلاء التلاميذ كانوا مريدين عنده، على طريقة السلوك والعرفان أو التصوف. حيث يُعرف عن العلاقة بين الشيخ والمريد بأنها علاقة على مستوا عال من الخصوصية، يحظى فيها الشيخ بدرجة عالية من الطاعة من قبل تلاميذه ومريديه، وهنا نورد قولاً منقولاً عن أبي يزيد، يقول فيه: ((إذا أمر الأستاذ التلميذ أمراً من أمور الدنيا أو بعثه في إصلاحه، فيقيم مؤذن في بعض طرقاته على مسجد من المساجد، فيقول: أدخل المسجد وأصلي ثم أكون وراء ما بعثني إليه، فقد وقع في بئر لا يتبين أسفلها)) (عباس 2004، ص102). فطاعة أومر الشيخ، كما يرى أبو يزيد، يجب أن تكون مقدَّمة على أداء الفرائض. وهكذا يمكن أن نفهم علَّة اختيار الباب لمجموعة محددَّة من مريديه وفي مقدمتهم الميرزا حسين علي المازندراني، الذي هو بهاء الله. حيث وجد فيهم الإيمان الكامل بدعوته، ومن ثم الطاعة التامة له والقدرة على التحدي. وهذا كل ما يلزمه لنشر دعوته، حيث أنه يعرف بأن هذه الدعوة ستلاقي الرفض والاتهامات والعقبات التي تحتاج إلى رجال على درجة عالية من الإيمان بها والاستعداد للتضحية من أجلها.

وقد اثبت هؤلاء المُختارون، وكما سيتضح لاحقاً، أنهم جديرون بالاختيار، وأن الشخص الذي اختارهم كان على دراية بمميزاتهم وطبائعهم. ورأينا بخصوص المعايير الصوفية التي اتبعها الباب يؤكده المستشرق جولدتسهير الذي يرى أن الباب ((اعتمد في مذهبه على مقدمات صوفية وغنوصية، فقد ظلت هذه المقدمات تتخلل تعاليمه التي بنى عليها نظرياته الكونية)) (جولدتسهير، 2013. ص 273.). ولذلك نقول بأن ثمّة نحو من التتلمذ والأستاذية يربط بين هذه الشخصيات الثلاث، أي "الإحسائي، والرشتي، والباب". وهو مندرج ضمن نسق التصوف الذي يجمع بينهم.

المبحث الأول: لمحة تاريخية

أولاً: الشيخ الإحسائي

ولد الشيخ الإحسائي سنة "1753م" في الإحساء بالسعودية، وسافر إلى النجف مركز التشيع، وعمره ٤٠ سنة، وبقي فيها إلى أن بلغ مرتبة الإجتهاد[٣]. وقد كان الرجل ذا تصوف وعرفان، ومع أن الباحث لم يجد في المصادر التي اطلع عليها ما يؤكد تصوف الاحسائي، غير أنه استشف تصوفه من مجمل الآراء التي انكرها عليه مجايلوه من علماء الدين يمكن فهمها في سياق تصوفي، ينسجم مع ما يطلق عليه "شطحات الصوفية" وهي آراء يؤمن بها المتصوفة الإسلاميون وينكرها عليهم رجال الدين على طول التاريخ الإسلامي. ومن هنا نستطيع أن نفهم الديانة البهائية، أي بعد وضعها في سياقها الصوفي، وحينئذ تصبح دعوى حسين علي المازندراني أنه رسول هذا الزمان واضحة وكذلك دعواه أنه أنه آخر تجل لله. فهذه الدعاوى مألوفة من قبل المتصوفة، وهي كثيرة في تراثهم، كهذا البيت من الشعر المنسوب إلى الحلاج، والذي يقول فيه:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

نحن روحان حللنا بدنا

فإذا ابصرتني ابصرته

وإذا ابصرته ابصرتنا

وقد نُقل عن الشيخية إيمانهم بأن الله تجلى في الأنبياء جميعاً ثم تجلى بأكمل صور التجلي في النبي محمد والأئمة الاثني عشر من بعده(للمزيد، ينظر، جولدتسهير، ٢٠١٣، ص٢٧٠.). وهذا الرأي هو الآخر ينسجم مع ما نقل عن ابي يزيد البسطامي قوله "ما في الجبَّة غير الله".

وبدأ الإحسائي ينشر آراء أثارت اختلاف العلماء من حوله وعرضته لجملة من الاتهامات والمضايقات، ومن أهمها؛ مخالفته المشهور من رأي علماء طائفته والمسلمين عموماً، فيما يتعلق بالمعراج النبوي[٤]، حيث قال بالعروج الروحاني لا الجسماني، ونفس الأمر فيما يتعلق بقوله بأن بعث الأجساد يوم القيامة غير ممكن، إنما الحساب والعقاب يكون على الروح لا الجسد. ثم أنكر غيبة الإمام الثاني عشر، وإعلانه بأنه سيولد لاحقاً. فقد

---

[٣] درجة علمية يستطيع رجل الدين الشيعي عند بلوغها أن يكون له رأيه الخاص في تحديد ما يوافق الشريعة الإسلامية من تصرقات الناس، وبهذا يكون لديه جملة من الاتباع أو ما يصطلح عليه بـ"المقلدون" يعتمدون على ارائه في تحديد سلوكهم.

[٤] يعتقد المسلمون عموماً، بأن النبي اسري به، أي انتقل، في ليلة واحدة من مكة في السعودية إلى بيت المقدس بفلسطين، ثم عرج به من بيت المقدس إلى السماء، وهي حادثة نزلت فيها سورة قرآنية تقص الحدث، (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) الإسراء الآية١.

سئل عن مغزى تسمية الإمام الثاني عشر بـ"القائم المنتظر" فاجاب ((لأنه يعود بعد الموت، ومنها أنه سئل؛ ما معنى قيام القائم من القبر وما حقيقة هذه القضية فاجاب: يقوم من قبره أي من بطن أمّه))(أواره، 1924. ص٤٤). ولم يكن الإحسائي يعتقد ((بعودة شخص غاب عن الأنظار منذ ألف سنة وأن الذي يعتقده يقيناً حقاً هو أن المنتظر يوجد ويظهر بالولادة لا محالة))(أواره، 1924. ص٤٤) ، لكن لا بد من الإشارة إلى أن بعض هذه الآراء، بالذات المتعلق منها بموضوع الإمام الثاني عشر، جاءت تلميحاً، من قبل الإحسائي، لا تصريحاً، لحساسيتها بالنسبة للشيعة.

وكان أهم ما جاء به الشيخ الإحسائي، فيما يتعلق بهذه الدراسة، هو تبشيره بقرب ظهور الإمام الثاني عشر، وحثه الناس على ترقبه، أو البحث عنه. وينقل عنه أنه نظَّم جملة من الأتباع رسَّخ فيهم هذه البشارة وعمَّق فيهم هاجس الانتظار والبحث عن المنقذ، وهذا ما يعزز الاعتقاد بأن الشيخية هي التي دفعت الأحداث باتجاه الدعوة البابية ثم الدين البهائي، فالارتباط واضح، حيث أن هذه الطريقة اشاعت بين اتباعها أن موعد ظهور الموعود قد اقترب وبأن على الناس يقع واجب البحث عنه ومساعدته في دعواه.

ومن هنا نستطيع أن نربط بين الباب وبين أفكار الإحسائي، فالإحسائي القائل بولادة المُنقذ كان قد فتح المجال، على الأقل بين أتباعه ومريديه والمؤمنين بأفكاره، في أن يجد أحد منهم في نفسه أنه هو الموعود بالإنقاذ. وهذا ما حصل بالنسبة إلى الباب، لكن وفق رؤية صوفية، سيأتي إيضاح تفاصيلها لاحقاً، تقول بأن الأئمة عبارة عن حقائق غيبية، بالمعنى الصوفي للحقائق[٥٥] يمكن الاتصال بها والتعبير عنها ثم التحقق بها. وهذا ما يقصده الصوفية بالتحقق في مقامات الصفات والأفعال، أي يقصدون التوحد بالله. إما بتحولهم إلى مجرى لأفعاله، أوبتحولهم إلى تجل لصفاته. ومن هنا نستطيع أن نقدم تفسيرا لتحول الباب من كونه باباً للإمام الثاني عشر، إلى كونه هو الإمام نفسه. فالرجل وبحكم الثقافة الصوفية كان يرى بنفسه مجرى لحقيقة الإمام الثاني عشر، ومن هنا فهو باب بينه وبين الناس، ثم اعتقد لاحقاً بانه اصبح متحداً مع هذه الحقيقة وفانياً بها. وليس في الموضوع تناقض، بل هو تنقل متدرج في الاحوال يحدث كثيراً عند الصوفية وهو مألوف في ثقافتهم، كم سيتضح لاحقاً.

سافر الإحسائي إلى مدينة مشهد في إيران، وهي المدينة التي تحوي مرقد الإمام الرضا الثامن من بين أئمة الشيعة الإثني عشرية. ويتحدث البهائية(زرندي، 1997، ص٢٢) عن أن أحمد الإحسائي أخذ بنشر أفكاره بمشهد، ثم في شيراز، وهنا لا بد من وقفة. فإذا صح

[٥٥] ((الحقائق الصوفية عند العلماء الوضعيين مرادفة للحقائق الغيبية، وهي التي تجاوز عالم الظواهر، ولها عند الشعوب البدائية تفسيرات خفية)) [جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج١، ص748]

أن الإحسائي نشر أفكاره في المدينة التي هي مسقط رأس الباب، فلا بد أنه ترك خلفه من يؤمن بأفكاره ويعمل على ترسيخها ونشرها، وهكذا نفهم من أين جاءت للباب فكرة البابية، وكذلك نفهم سعيه إلى لقاء السيد كاظم الرشتي في كربلاء، بل ونؤسس عليه ما يمكن اعتباره نحواً من التتلمذ على يد شيخ من مشايخ الطريقة الإحسائية، نفترض بأنه كان موجودا في شيراز.

من مشهد انتقل الإحسائي إلى مدينة يزد، وهناك بقي فترة كتب فيها الكثير من كتبه ورسائله، كما التقى فيها بالسيد كاظم الرشتي(زرندي، 1997، ص٢٢) وتأثر به الأخير، وحَمل أفكاره، ليلتحق به إلى النجف لاحقاً. بعدها انتقل الشيخ الإحسائي إلى مدينة قم، وهي مركز التشيع في إيران حيث تعتبر التجمع الأهم لمدارس الفقه وعلمائها هناك. وهي، في هذا الإطار تأتي بالمرتبة الثانية بعد مدينة النجف في العراق. لكن الإحسائي، وكما يؤكد البابيون والبهائيون، لم يترك مدينة يزد قبل أن يوصي السيد كاظم الرشتي بأن يستمر بنشر أفكاره، بعد أن جعله ممثلاً عنه، وأعطاه الإجازة في أن ينوب عنه في الإجابة على الأسئلة ناقلاً رأيه إلى الآخرين، وهذا ما فعله الرشتي، حيث مثّل الإحسائي خير تمثيل في يزد قبل أن يلتحق به إلى النجف ((أواره، 1924. ص47)).

ثانياً: السيد كاظم الرشتي

ولد السيد الرشتي في مدينة "رشت"، سنة ١٢٠٥هـ، والتقى بالشيخ الإحسائي وعلى يده تتلمذ في التصوف على الطريقة الشيعية[٦]، ومنذ ذاك الوقت، وبحسب ما يؤكد البابيون والبهائيون، سلَّمه الزعامة على الجماعة التي أسسها، وأوصاهم بطاعته والإيمان بما يقول، ومن هنا باشر الرشتي بالدعوة إلى انتظار ظهور المهدي وضرورة البحث عنه، ما يؤكد أن الدعوة البابية بُذرت بذورها منذ ذلك الوقت وعلى يد الرشتي وقبله الأحسائي. بل وينقل عنه البهائيون الكثير من الإشارات التي يعتقدون أنه أشار بها إلى "بهاء الله"، والتي منها قوله؛ ((الحمد لله الذي طرز ديباج الكينونة بسر البينونة، بطراز النقطة البارزة عنها الهاء بالألف بلا إشباع ولا انشقاق)) ((أواره، 1924. ص50)). وهو الوارد في كتاب "شرح القصيدة" حيث يستفيدون منها الإشارة إلى اسم "بهاء" الله، وكذلك تأويلهم الحروف الثلاثة، أي "ب، هـ، أ"، بأنها إشارة إلى الباب وبهاء الله. ثم يقولون بأنه عين وقت ظهور بقوله: ((سنة ١٢٦٠ الهجرية ينال العالم نعمة تأويل القرآن وتظهر وتلألأ أسرار التنزيل))(أواره، 1924. ص51).

وقد قسَّم صاحب كتاب الكواكب الدريّة، أتباع السيد الرشتي إلى ثلاثة أقسام، أولهم القسم الذي يقطن في بلاد بعيدة، وهؤلاء لا يعرفون من أخباره إلا ما ينقل إليهم. والثاني، هم

[٦] سيأتي لاحقاً توضيح التصوف الذي يجمع بين الرجلين.

من تلامذته لكنهم لم يلازموه ملازمة تامة، بل اكتفوا بحضور دروسه والتتلمذ على يدية، وهؤلاء ممن، وكما يعتقد صاحب الكتاب، لم ينالوا غير ظاهر علومه، أما القسم الثالث فهم ((التلاميذ الذين لازموه الليل والنهار [...] وكانوا مستودع أسراره وأمناء جواهر أفكاره أولئك هم الذين آمنوا بصاحب الظهور حضرة الباب)) (أواره، 1924. ص49). ومن الواضح أن هذا الوصف ينطبق على علاقة المريدين بشيوخهم الصوفية، حيث يلازمونهم ولا ينقطعون عنهم إلا للضرورات، وبالتالي تكون الطبقة الثالثة منهم بمثابة اساتذة لاحقون في الطريقة يحملون بإيمان عال عقيدة هذه الطريقة بقرب ظهور الموعود.

ثالثاً: علي محمد الباب

ولد الباب بمدينة "شيراز" سنة ١٧١٩م، وقد توفي والده وهو طفل، فكفله خاله المعروف بـ"الحاج علي التاجر" وكان يمتهن التجارة، فاشتغل الباب معه في تجارته. ويروي النبيل في تاريخه، وبعد الإشارة إلى أن سنة ولادة بهاء الله كانت في السنة نفسها التي توفي بها الشيخ الإحسائي. وهي سنة ١٨١٧ يذكر أن ولادة الباب كانت سنة ١٨١٩، أي أصغر من بهاء الله بسنتين، ثم يربط ذلك بحديث مروي عن الإمام علي بن أبي طالب يقول فيه "أنا اصغر من ربي بسنتين (زرندي، 1997، ص26). وهكذا يكون تأويل الحديث مؤدياً إلى نبوءة منسوبة إلى الإمام علي تثبت، ليس فقط ظهور الباب، ولكن توضح المكانة بينه وبين بهاء الله، لكن من المؤكد بأن البابيون ممن لم يلتحقوا بالدين البهائي لا يقبلون بهذا التفسير.

رحل علي محمد الشيرازي، إلى كربلاء وعمره أربعة وعشرون سنة، وكان وصوله إليها قبل وفاة الرشتي بسنة واحدة، ولذلك يؤكد البهائيون بأن الباب لم يتتلمذ على يدي الرشتي وأن عدد المرات التي تقابلا فيها لم تتعد المرتان، وكانت واحدة منهما هي التي سبقت وفاة الرشتي. لكن كلا المرتين يتم روايتهما بشي من المبالغة، حيث تأتي الروايات بحمولة تحاول أن توحي بأن كاظم الرشتي قابل الشاب الذي لم يتعد عمره الـ (٢٤) سنة بحفاوة تكشف عن علمه بمكانته وبالمستقبل الذي سيكون عليه، وعليه فإنهم يروون عن المقابلة الثانية أن الباب كان جالساً في حلقة الدرس الخاصة بالرشتي فدخلت أشعة الشمس من شباك وسقطت على السيد علي محمد الباب، فالتفت الرشتي إلى هذا المشهد وأشار إلى الباب قائلاً: ((إني أرى نفس الموعود واضحاً مضيئا كهذه الشمس)) (اوراه، ١٩٢٤، ص ٦٩). لكن النبيل في تأريخة يروي مقدمة لهذا اللقاء، وينسبها لشخص أسمه "حسن الزنوزي"، كان قد سمعها منه شخصياً، وملخصها؛ أن الزنوزي كان من المقربين لكاظم الرشتي ومن المداومين على خدمته والتعلم على يديه، وفي يوم من الأيام جاءه أحد طلبة الرشتي فجراً وأخبره بأن السيد ينتظره، ولما وصل بيت السيد كاظم الؤشتي، وجده بانتظاره ومستعداً للخروج، وفعلا خرجا متوجهين إلى شخص وصفه الرشتي للزنوزي بأنه شخص جليل القدر وتجب زيارته من

قبلهما، ثم يصف الزنوزي مشهد اللقاء بقدسية تبدو مبالغاً بها، حيث يقول بانهما وصلاً بيتاً وجدا في بابه شخصاً ينتظرهما وأن هذا الشخص كان ((يلبس عمامة خضراء ويظهر على محياه الخشوع واللطف الذي لا أقدر أن اصفه وتقدم نحونا ببط وعانق السيد كاظم بكل محبة وكان شغفه ولطفه في معانقة السيد لا يقل عن احترام السيد العميق له وقد قابل اشواق الشاب المتكررة واحترامه بالتزام السكوت واحناء الرأس))[٧]. ثم لا يذكر عن الحديث الذي دار بينهم شيئاً باستثناء عبارة قالها الشاب المضيف للسيد كاظم الرشتي عندما ناوله قدحاً من فضَّة فيه شراب لم يسمِّه، وعندما تناول الرشتي الكأس من الشاب تلا الشاب الآية القرآنية؛ (وسقاهم ربُّهم شراباً طهورا). وأن حديثاً دار حول هذه الآية ثم انتهى اللقاء. وبعد ثلاثة أيام زار الباب مجلس الرشتي ووقعت حادثة شعاع الشمس السالفة[٨].

تأخذ الأحداث مجراها باتجاه ولادة الدعوة البابية بعد وفات السيد كاظم الرشتي، ورفض ملا حسين البشروئي، أن يحل مكان أستاذه الرشتي في التفرغ لتدريس الطلبة، وتفضيله بدلاً عن ذلك، بأن يسيح في الأرض بحثاً عن الموعود. ولم يكن هذا القرار خاصاً بالبشروئي وحده، بل شمل جمع من تلامذة الرشتي المقربين، باستثناء قرَّة العين، فقد بقيت متفرغة للتدريس(اوراه، ١٩٢٤، ص٧٠). وذلك تنفيذاً لوصيَّة الرشتي لهم حيث كان ((يأمرهم مرارا وتكرارا أن يهجروا منازلهم وأن يتفرقوا في البلاد ويطهروا قلوبهم من كل غرض دنيوي ويخصصوا أنفسهم للبحث عن الموعود الذي كانا يشير إلى قرب ظهوره))[٩].

ولا بأس من ذكر أهم الشخصيات التي وقعت، بحسب رأينا في سلسلة الأحداث التي أدت إلى ظهور البابية ثم البهائية:

١. احمد زين الدين الاحسائي مؤسس المدرسة الشيخية.
٢. كاظم الرشتي تلميذ الاحسائي والمبشر بظهور الباب بعد تشخيصه بالشيرازي.
٣. الملا حسين البشروئي تلميذ الرشتي والمؤمن الأول بالباب، ولذلك اطلق عليه لقب (باب الباب). وهو الذي قاد جماعة من أصحابه من خراسان رافعين الرايات السود[١٠] إلى أن وصلوا إلى قبر الطبرسي، وهناك حوصروا وحدثت واقعة قلعة الطبرسي.
٤. الميرزا علي محمد الشيرازي (الباب).
٥. قرة العين.
٦. محمد علي البارفروشي "القدوس" ويقال أن الباب كان يقدسه حيث سجد له مرتين.

---

[٧] ملخص كتاب مطالع الأنوار، م. س، ص٢٩.
[٨] مطالع الأنوار، عن وقائع الأيام الأولى للأمر البهائي، م. س. ص٢١.
[٩] مختصر مطالع الأنوار، م. س، ص٣٣.
[١٠] في حمل الرايات السود إشارة إلى نبؤة يتناقلها الموروث الشيعي تتحدث عن خروج حاملي الرايات السود من خراسان.

٧. ميرزا حسين علي المازندراني وهو (بهاء الله).

وهكذا تبدأ رحلة البحث عن الموعود من قبل طلبة الرشتي. ولا تُسلط الكتب البابية، التي تم الاطلاع عليها في هذه الدراسة، الضوء على المساع التي قام بها هؤلاء الطلبة، باستثناء البشروئي الذي بدأ بحثه بالسفر إلى النجف، لممارسة "عبادة الاعتكاف ٤٠ يوماً، في مسجد الكوفة، التي يؤمن الشيعة ممن يسعون لمقابلة الإمام الغائب، بأن الاعتكاف فيه للمدَّة المذكورة يُمَكِّن المُخْلِصين منهم من رؤيته.

١. بعد ذلك سافر إلى بوشير ومنها إلى شيراز حيث قابل الباب مصادفة، وذلك أول يوم وصوله إليها، ومما يسرده صاحب كتاب تاريخ النبيل في هذا الإطار أن البشروئي، وبينما كان يتجول خارج سور مدينة شيراز، قابله شاب بهي الطلعة يعتمر عمامة خضراء، وسلم عليه بحفاوة وطلب منه أن يرافقه إلى بيته، ولم تنفع محاولات البشروئي في الاعتذار، خاصة وأنه كان قد ترك رفاقاً له ينتظرونه. وبعد ذلك رافقه إلى بيته، أي بيت الباب، وهناك حصل لقاء غاية بالأهمية بين الرجلين، إذ حصلت خلاله الانعطافة المهمة، فالبشروئي يمثل امتداد مدرسة الاحسائي المبشرة بظهور الغائب، ثم هو يحمل على عاتقه مهمة البحث عنه، والباب يدعي أنه هو الموعود. فإذا اقتنع البشروئي بادعاء الباب فهذا يعني بأنه أكسبه شرعية المدرسة الشيخية، إلى حد ما. وهذا ما حصل، حيث سأل الباب البشروئي عمن صار خلفا للرشتي بعد مماته، فأخبره البشروئي بأنه أمرهم بأن يبحثوا عن الموعود. فسأله الباب إن كان الرشتي قد حدد صفات الموعود، فاخبره بأنه يوصف بكونه من سلالة النبي محمد وأن سنه ((فوق العشرين أقل الثلاثين وعنده علم لدني وهو متوسط القامة ويمتنع عن شرب الدخان وخال من العيوب والعاهات الجسمانية)) (زرندي، ٢٠٠٨، ص٤٥). فساله الباب، إن كان يجد هذه الصفات منطبقة عليه، فتحير البشروئي ثم جادله رافضاً، وبعد أن أعاد الباب سؤاله فيما يتعلق بانطباق العلامات عليه، سلمه البشروئي رسالة كان قد أعدها مسبقاً ضمّنها مجموعة من الأسئلة التي يظنها صعبة ومحيرة مما يتعلق بالأمور الدينية التي يعتقد بأن حلّها يصعب على من لا يملك علوماً وهبيّة لدنيَّة عالية. وكذلك فيما يتعلق بتعاليم الباطنية الصادرة من الشيخين الإحسائي والرشتي، وفوق ذلك طلب منه تفسيراً مختلفاً لسورة يوسف. ولما حقق الباب مراد البشروئي وخاض امتحانه، آمن به الأخير، وهكذا يكون الباب قد أعلن دعوته بحضور، ومباركة الطريقة الشيخية، سنة ١٨٤٤ (زرندي، ٢٠٠٨، ص٤١-٤٩).

بعد أن آمن البشروئي ببابية علي محمد الشيرازي، ولأنه أول من فعل ذلك، منحه الباب لقب "باب الباب"، وطلب منه أن يتفرغ لنشر الدعوة، ولم يأذن له بأن يرافقه إلى الحج، واعداً

إيها بمهمة بالغة الأهميَّة، وهي مهمة اللقاء ببهاء الله، كما يلمح البهائيون إلى ذلك في كتب التاريخ الخاصة بهم.

ارتحل "باب الباب" بعد هذه الحادثة في المدن الإيرانية يبلغ بظهور الباب مثل خراسان ومنها سافر إلى وطنه بشروية، ثم إلى مشهد، كل هذا وهو ينشر الدعوة ويبشر بظهور الموعود ويدعوا الناس إلى الإيمان بما جاء به الباب علي محمد الشيرازي، ويبدو أن هذا الجهد أدى إلى وضع بذرة البابية في الكثير من الأماكن التي تنقل بينها البشروئي، وبقيَّة رجال البابية ومنهم بالتأكيد الميرزا حسين المازندراني.

وبينما كان في مدينته ومسقط راسه بشرويه، عرف أن الباب قد تم نفيه إلى تبريز ثم ألقي القبض عليه في أصفهان. فقرر السفر والالتقاء به وفعلا تم له ذلك. وينقل البهائيون بأن هذا اللقاء تضمن نقل الكثير من الأمور والأوامر من الباب إلى باب الباب البشروئي، ومنها جملة من النبوءات والحوادث.

رابعاً: مؤتمر "بدشت"

هناك الكثير من التفاصيل التي يتضمنها تاريخ الدعوة البابية، وهي ذات علاقة بتاريخ وأصل الدين البهائي، لكن ذكرها كلها يُخرج هذه الدراسة عن حدودها. وعليه سنقتصر على ايراد ما نعتقد بأنه ذو علاقة صميمية بالنتائج التي نسعى إلى الوصول إليها، وخاصَّة ما يساعد على فهم البعد الصوفي الغنوصي بالمدرسة البابية/ البهائية.

حدث سنة (١٢٦٤هـ) مؤتمر على غاية من الأهمية بالنسبة للبهائية، وذلك إذ انعقد بناحية تسمى "بدشت" مؤتمر ضم أهم الشخصيات التي كانت تؤمن بالباب وتتولى نشر دعوته، وينقل البهائيون، بأن المؤتمر انعقد لسببين الأول هو التباحث في كيفية إنقاذ الباب من المعتقل في "ماه كو"، والثاني هو التباحث بتفاصيل الشريعة الإسلامية، وموقف البابية منها من ناحية نسخ بعض تفاصيلها أم الإبقاء عليها كما هي. ويروي ميرزا عبد الحسين آواره في كتابه الكواكب الدرية في تاريخ ظهور البابية والبهائية(اوراه، ١٩٢٤، ص٢٢٤) ، بأن سبب اجتماع رجالات البابية، في هذا الزمان والمكان، غير متفق عليه، لكن المتفق عليه ان التباحث بينهم كان حول هاتين القضيتين. ويبدو من خلال تتبع ما ورد في المصادر المختلفة، أن الأمر الذي دارت عليه أكثر المداولات والمباحثات، واختلف المجتمعون حوله، هو نسخ الشريعة الإسلامية، الأمر الذي يدعونا إلى الاعتقاد بان اصل الاجتماع كان للتباحث في مآلات الدعوة فيما لو تعرض الباب إلى التصفية ولم تنجح محاولات انقاذه. وهذا ما يفسر انقسام المجتمعين إلى ثلاث قوافل كل واحدة منها اتجهت إلى جهة وكانت بقيادة شخصية من كبار الجماعة. حيث سار "بهاء الله" بجماعة نحو طهران.

بينما سار القدوس وقرة العين، بجماعة من اتباع الحركة نحو مازندران. وأما القافلة الثالثة فكانت بقيادة باب الباب حيث اتجهت اولا إلى مازندران ثم خراسان.

٢. ويروي صاحب كتاب نبيل أن عددهم كان ٨١ نفراً، وبعد خلاف بين قادتها، المجتمعون في ذلك المكان، من جهة وبين اتباعها المرافقون لهم، اختلفوا حول موضوع نسخ الشريعة، لكنهم آخر الأمر اتفقوا على نسخها، وترك أمر اعلان القرار على عاتق قرّة العين، حيث يؤكد آواره بأن سبب تصديها لهذا الامر هو أن المرأة لا تقتل في حال الارتداد، ما يعني أنها أرادت أن تجنيب اصحابها القتل في حال تصديهم للأمر والحكم عليهم بالارتداد لاحقاً. وفعلا فما أن تصدت قرّة العين للأمر وخاطبت الناس من دون حجاب، حتى طار الخبر في الارجاء وما لبث أن هجم على المؤتمرين جماعة من انحاء المكان فضربوهم وسلبوهم وطردوهم من المكان وهكذا تفرقوا إلى ثلاث قوافل. وتجدر الإشارة إلى أن الاختلاف حول نسخ الشريعة من عدمه لم يحسم تماماً بل ترك للباب حيث خوطب من قبل المؤتمرون بخطاب اعلموه باختلافهم حول الموضوع وطلبوا منه الفصل، فكان جوابه مؤيداً للنسخ. لكن مؤلف كتاب مطالع الأنوار تاريخ نبيل، يروي تفاصيل لم ترد في الكواكب الدرية، حيث يؤكد أن في كل يوم من أيام مكوث الجماعة في "بدشت" كانوا ينسخون عبادة أو يغيرون معتقداً (زرندي، ١٩٩٧، ص٢٣٢)

خامساً: حادثة قلعة الطبرسي

اتجه القدوس إلى بارفروش ثم تبعه باب الباب، وأثناء ذلك، وقبل وصول باب الباب إلى بارفروش، توفي محمد شاه، الأمر الذي أدى الى اضطرابات كان من نتائجها أن وقعت معركتان بين اتباع البابية وبين سكان بارفروش من المسلمين. ثم انتهى الأمر إلى نزوح باب الباب بجماعته من البلدة باتجاه قلعة الطبرسي، وخلال الطريق اليها وقعت معركة أخرى بينهم وبين سكان احدى القرى التي كانت تتوسط غابة مازندران، لكن باب الباب استطاع الهرب من اهل القرية والوصول إلى قلعة الطبرسي والتحصن فيها، ثم التحق به القدوس. وكانوا يعلمون بان الحكومة لن تتركهم لحالهم، فانشغلوا بجمع المؤن والأسلحة، لتوقعهم الحصار والمعارك. وفعلا هذا ما حصل حيث انتدبت السلطات قائدا اسمه "مهدي قلي ميرزا" حيث عسكر قريبا من القلعة ينتظر التعزيزات، التي كانت تتجه اليه بامرة قائد آخر هو "عباس قلي خان اللارجياني"، وقبل وصول هذا الاخير هجم البابيون على الجيش، واوقعوا فيه خسائر كبيرة، اضطرته إلى الانسحاب إلى بارفروش والالتحام بالتعزيزات، ثم العودة ومحاصرة القلعة، وفعلا بقيت القلعة محاصرة والمناوشات بين المعسكرين لمدَّة ستة أشهر، بحسب ما ورد في الكواكب الدرية. ثم ضاق الحصار، واصبح البابيون على وشك الموت بسبب الجوع ونقص المؤونة، ولذلك قبلوا عرضا بالسلام اعطي لهم من عباس قلي

خان، لكن وما أن سلموا انفسهم حتى تم قتل الاعم الاغلب منهم غيلة، وهذا ما توقعه بعضهم وحذر منه رفاقه، لكن صعوبة الحال بسبب الحصار الجأتهم إلى هذا الخيار الصعب وأسر بعض قادتهم.

سادساً: دلالات المعارك

يبدو لمن يتتبع تاريخ البابية ويقرأ ما بين سطوره، بالذات تلك التي تتحدث عن المصاعب التي واجهها أتباع الباب والمعارك التي خاضوها واصرارهم على المضي بدعوتهم، على الرغم مما لاقوه من عنت وعنف واستهزاء واعتقالات وإعدامات، بل وتصديهم للجيوش ومقارعتهم سلطة الشاه. كما حدث في حصار ومعارك قلعة الطبرسي. يبدو له بأنهم لم يكونوا جماعة هامشيين، ولا كانت دعوتهم بالسطحية التي يحرص أغلب الكتاب على تأكيدها. ولا كان الباب عبارة عن شاب غر، تعرض إلى خداع وتظليل حسين البشروئي وغيره.

إن تَتَبُّعاً بسيطاً لجملةٍ مما كُتب عن البابية والبهائية، يمكن أن يكشف لنا التحامل الذي انطلق منه كثير من الكتابات التي تناولتهم بالبحث والاستقصاء. ولو كانت هذه الكتابات مكتوبة من قبل رجال دين بهدف الرد على عقائد وأفكار هذا الدين لوقعت كتاباتهم في موقع الدفاع عن الدين ولَفُهِم التحامل. لكن الموضوع تعدى إلى كتابات الباحثين ممن يفترض بهم استعراض التاريخ أو العقائد أو نقد التوجهات والأفكار. فمثلاً يكتب عامر النجار، أستاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة الاسكندرية، في مقدمة كتابه؛ "البهائية وجذورها البابية": ((تعد البابية والبهائية من أخطر المذاهب المعاصرة هدماً لمبادئ الإسلام، وأفكارهما تقوم على أساس التلفيق والتوفيق)) (النجار، 1996. ص٥).

كما نقرأ في كتاب "البابية والبهائية" لمحمود الملاح؛ ((يحار الباحث في شرذمة تزعم أن لها ديناً موحى إلى زعيمها أو هو بوحيه. فهي تتلوى في حديثها عن معتقدها تلوي الحية الرقشاء)) (الملاح، 11955، ص٢١). والملاح يقول ذلك بعد أن يجزم بأن البابية والبهائية من الحركات المغالية، وأنها مدسوسة من قبل الاستعمار أو غيره، على الإسلام بغرض تشويهه والنيل منه (الملاح، 1955، ص٣، ٥، ٣١، ٥٦). أو كما نجد في كتاب مصطفى محمود "حقيقة البهائية" الذي يستهله بالحديث عن التآمر على الإسلام وأن ثمَّة ثغرة بقيت مفتوحة منذ وفاة النبي استغلها المستغلون، كابن سبأ للتآمر على الدين، بل هو يذكر احداثا ووقائع كثيرة تخص الباب أو حسين علي المازندراني ويرسلها ارسالاً من دون الإشارة إلى مصادرها (محمود، ص٧، ١٢-١٥.). أما بنت الشاطئ فتكتب في كتابها "قراءة في وثائق البهائية" ((فيما بين مؤتمر بازل ١٨٩٦ إلى وعد بلفور ١٩١٧ وجهت اليهودية العالمية حليفها عبد البهاء لإنهاك الرجل المريض وخنقه حثيثاً))(عبد الرحمن، 1986. ص١٢٧).

بل الأغرب من ذلك أن يأتي وصفهم في الموسوعة العربية العالمية على أنهم؛ "فرقة من الفرق المنحرفة(الموسوعة العربية العالمية (١٠)، ص٢٠٥-٢٠٦.). أما إحسان إلهي ظهير فيكتب في مستهل كتابه "البابية عرض ونقد" ((فخلقوا في الفارس سفيهاً شيرازياً المرزة علي محمد الباب عميلهم في إيران، الذي أراد رمي إيران في احضان الروس الصليبي آنذاك)) (ظهير، 1981. ص٦).

إن ما فات جملة الكتاب والباحثين، وهم في الغالب مسلمين، أو من خلفيات إسلامية، أن البابية جماعة صوفية، وإذا لم نأخذ هذه الثيمة بنظر الاعتبار فإن جميع ألغاز وأسرار هذه الدعوة لا يمكن فكها. فنحن لا نستطيع أن نفهم، مثلاً، الأسباب التي تجعل مثل السيد كاظم الرشتي يهتم بشاب في العشرينيات من عمره ويوليه اهتمامه البالغ، بينما هو محاط بالعشرات إذا لم يكن المئات من طلبته، ممن واكب دروسه سنيناً طوال وحرص على خدمته وتفانى في نشر أفكاره والدفاع عنها. لكن هذه الألغاز تبدأ بالانكشاف ما أن نأخذ بنظر الاعتبار البعد الصوفي الغنوصي الذي يطغى على "الديانة البابية/ البهائية" ويشكل المرتكز الذي تدور عليه معاييرها، في التقييم والاختيار وفي الاتباع والطاعة.

هناك مجموعة من الأمارات والدلائل والإشارات، يعرفها شيوخ الصوفية، أو العرفاء بالنسبة للمذهب الشيعي، وعلى أساسها ينتخبون تلاميذهم ويفرزون مريديهم. وهذه العلامات لا علاقة لها بالكسب والبرهان، بل بالإشراق والعرفان. وعلى أساس مراتب السير والسلوك، وعلى أساس التحقق بالمقامات والأحوال[١١]، وهو تحقق يحصل بعد مكابدة الرياضات الشاقة والدخول بالاختبارات الكثيرة. فيحصل لبعض المريدين، أو التلاميذ إذا شئنا، ما يعتبره الصوفية فتوحات إشراقية، يعرفها أساتذة هذا المذهب في التحصيل، وبالاستناد إليها يميزون بين من يعتبرونه غثاً، وبين من يعتبرونه سميناً. لذلك فليس من العجب أن نجد بأن شيخاً محاطاً بالكثير من الطلبة ولا يكترث لهم، لكنه يمكن أن يلتفت إلى غريب جاء تواً إلى درسه، لمجرد أن يلاحظ بعض العلامات عليه وبعض التصرفات منه.

أنا القرآن والسبع المثاني
وروح الروح لا روح الاواني
فؤادي عند معلومي مقيم
يشاهده وعندكم لساني
فلا تنظر بطرفك نحو جسمي

[١١] ((المقام منها كل صفة يجب الرسوخ فيها، ولا يصح التنقل عنها، كالتوبة. والحال منها كل صفة تكون فيها في وقت دون وقت كالسكر والمحور والغيبة والرضى، او يكون وجودها مشروطاً بشرط فتنعدم لعدم شرطها كالصبر مع البلاء والشكر مع النعماء)) [محيي الدين ابن عربي، الفتوحات المكية، تحقيق، أحمد شمس الدين، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ص٥٨]

وعدِّ عن التنعم بالمعاني
وغص في بحر ذات الذات تبصر
عجائب ما تبدت للعيان
وأسرار تراءت مبهمات
مستَّرة بـأرواح المعـاني. (محيـي الـدين ابـن عربـي، ص٢٦.)

و((قيل للجنيد: بما نلت ما نلت؟ فقال بالجلوس تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة. وقال أبو يزيد اخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت)) (محيي الدين ابن عربي، ص٥٤.).

ومن المعروف عن التصوف بأنه لا ينتسب إلى دين ولا يعرف وقت انبثاقه باعتباره طريقة في المعرفة، وفي تربية النفس والزهد والتقشف وكثير من الصفات التي تلازم هذا المفهوم وتشكل خلفية دلالية وصورة ذهنية له(شاه، ٢٠١٥. ص٢٥-٣٠).

سابعاً: حسين علي المازندراني "بهاء الله"

ولد في طهران سنة ١٨١٧، والده هو الميرزا عباس النوري أو الميرزا بزرگ الساساني. وأبوه من أعيان إيران وأغنيائها. وقد كان وزيراً لشئون منطقة مازندران.

بدأت علاقة حسين علي المازندراني "بهاء الله" بالبابية، عبر البشروئي، ويروي صاحب كتاب تأريخ النبيل أن الأمر بدأ عبر لقاء جمع بين البشروئي وطالب علوم دينية من نفس ميدنة بهاء الله، وهي مدينة "نور" في مازندران، ويروي صاحب التاريخ أن البشروئي، سأل الطالب أثناء اللقاء عن والد بهاء الله، وهل ترك بعده من خلف يدير شؤون العائلة، ولما اخبره الطالب عن ميرزا حسين، ووصفه له بالكرم ورعاية المحتاجين، اثار انتباهه[١٢]، فارسل له أمانة بيد الطالب، وطلب منه إيصاله إلى ميرزا حسين المانزندراني (تاريخ النبيل ص٨١-٨٥.).

في سنة ١٨٤٤ م آمن بهاء الله بدعوة الباب بعد تلقيه . كما يؤكد البهائيون . لفافة أرسلت إليه من الباب. وصار من أهم دعاة هذه الدعوة. وقد برز بهاء الله عبر دوره في مؤتمر "بدشت" حيث كان له دور بارز في فصل الدعوة البهائية عن الدين الإسلامي، عبر دوره في نسخ بعض الشرائع الإسلامية، كما يروي صاحب كتاب تأريخ نبيل. وهذا يعني أن الرجل كان يؤمن منذ ذلك الوقت بالحاجة إلى وجود دين جديد أو أنه كان منذ ذلك الوقت يؤسس للدين الذي يسعى إلى التبشير به.

[١٢] في كتاب النبيل، وعند سرد الأحداث، هناك إيحاءات واضحة من قبل السارد، ويبدو أنها شائعة في المعتدقات البهائية، توحي بأن البشروئي كان يعرف بالمازندراني، وكأنه كان يبحث عنه. تاريخ النبيل ص٨٢.

في سنة ١٨٥٢م القي القبض على بهاء الله وسجن بسجن (النقرة السوداء) أو (سياه جال) إثر اتهامه بالاشتراك في محاولة لإغتيال شاه إيران. ويعتقد البهائيون أن فترة السجن هذه كانت منطلق ديانتهم. وينقلون عن بهاء الله قوله في وصف الوحي الذي نزل عليه في ذلك السجن؛ ((وبالرغم من النوم كان عزيزي المنال من وطأة السلاسل والروائح النتنة حين كنت رهين سجن أرض الطاء (طهران) إلا أنني كنت في هجعاتي اليسيرة أحسُّ كأن شيئاً ما يتدفق من أعلى رأسي وينحدر على صدري كأنه النهر العظيم ينحدر من قلّة جبل باذخ رفيع إلى الأرض فتلتهب جميع الأعضاء لذلك. في ذلك الحين كان اللسان يرتل ما لا يقوى على الإصغاء إليه أحد)) (ظهر حضرة بهاء الله ج١، ص١٠.).

بعد أن قضى أربعة أشهر في السجين أطلق سراح بهاء الله بعد تبرئته من تهمة محاولة الاغتيال، لكنه مع ذلك نفي إلى إلى مدينة بغداد ومكث فيها عشر سنوات.

ثم نفي بهاء الله بعد ذلك مرة أخرى إلى القسطنطينية وبعدها إلى أدرنة في تركيا وبقى فيها خمس سنوات حبس بعدها في قلعة عكاء في فلسطين.

وقد انتقل بهاء الله بالبابية، من مستواها الداخلي الإسلامي حيث اعتنت بتحديث بعض الأفكار والعقائد والقوانين الإسلامية، إلى مستوى آخر عام أو عالمي حيث وجه عنايته إلى طرح نموذج عالمي من الدين. وهو بهذا الطرح لم يخرج عن النموذج المطروح اصلا من قبل الرسول محمد (وما أرسلناك إلا للناس كافَّة). بل وحتى في عملية مراسلته الملوك والرؤساء لم يخرج من التراث والتجربة الاسلاميين، حيث سبقه الرسول محمد إلى هذه الخطوة.

لكنه من جهة أخرى أجرى تغييرات جوهرية أخرجت دعوته من الدائرتين البابية والإسلامية، حيث حرّم الحرب ونظام الرق تحريما قاطعاً، كما أنه حرم زواج الرجال بأكثر من زوجتين. والغى صلاة الجماعة إلا في الصلاة على الميت. كما أنه غير القبلة وجعلها حيث يستقر هو. لكنه من جهة أخرى وفيما يشي بتراجع عن خط مواكبة العصر والتطور يرفض الحرية أو يطالب بالحد منها، كما أنه لم يشجع على الديمقراطية (جولدتسهير، م. س، ص ٢٧٠-٢٧٨) كما ينقل جولدتسهير، لكن للبهائيون رأي آخر حيث يعتقدون أن نظامهم الإداري، الذي يتضمن عمليات انتخاب لاعضاء المحافل، خير دليل على ديمقراطيتهم.

ثامناً: إعلان الدعوة البهائية

في سنة ١٨٥٣ غادر ميرزا حسين علي المازندراني طهران منفياً إلى العراق، بعد إطلاق سراحه من السجن، وهو السجن الذي يعتقد البهائيون، أن فيه حدثت أولى تجارب الوحي عند بهاء الله. استغرقت إقامة المازندراني في العراق عشر سنوات امضى منها سنتان

في جبال كوردستان العراق متخفياً، حيث عرف هناك باسم "الدرويش محمد" ومتنقلاً بين طرق الصوفية هناك (ظهور حضرة بهاء الله، ص١٣).

وفي نهاية إقامته في العراق وقبل أن يغادر بغداد منفياً إلى الاستانة. أعلن بهاء الله دعوته يوم ٢٢-٤-١٨٦٣ في حديقة الرضوان، وهي حديقة كانت مملوكة لوالي بغداد نجيب باشا، ثم تحولت ملكيتها إلى الحكومة حيث حولتها إلى مكان لاستقبال وإقامة الوفود الرسمية، وقد استضافت فيها بهاء الله لأن بيته لم يكن يتسع لاستقبال جموع المودعين له بسبب نفيه إلى الآستانة. وقد بقي بهاء الله في حديقة الرضوان لمدة ١٢ يوم اعلن في اول هذه الأيام دعوته ولذلك يتخذ البهائيون من هذه الأيام عيدا يسمونه بعيد الرضوان (ظهور حضرة بهاء الله، ص٢٧٥-٢٧٦). تميز بهاء الله بكثرة مؤلفاته التي يعدها البهائيون وحياً كلها، حيث كان يرافقه كاتب وحي يدون كل ما يصدر عنه، حتى اجوبته على الرسائل الخاصة، وفي العراق قبل وبعد اعلان الدعوة كتب الكثير من "الألواح".

المبحث الثاني: ملامح التصوف عند البهائية

الأعم الأغلب من تراث البهائية الفكري يدور في فلك التصوف والعرفان، بل إن درجات الرجال عندهم تتبع قدرتهم على تأويل الآيات القرآنية والإتيان بتفسيرات باطنية لها، وهذا ما لاحظناه في الاختبار الذي اختبر به البشروئي علي محمد الشيرازي الباب، حيث طلب، فيما طلب، منه تأويل سورة يوسف.

ومن جملة هذا التراث تفسيرهم للوجود والحوادث والعلاقات تفسيراً باطنيا، فمثلاً ((يذكر صاحب كتاب "ظهور بهاء الله" عن بهاء الله تصنيفه العوالم السماوية إلى عدة عوالم أو مستويات، وذلك بمعرض تفسيره الآية القرآنية (كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه)، فيذكر مقامات لهذه العوالم، منها:

أولاً: مقام عرش "الهاهوت" وهو جنَّة الأحدية، وسر الصمدانية و"آنية الأحدانية"؛ وهذا المقام "لا تدركه حتى المظاهر الإلهية" لسموا قداسته. وبحسب بهاء الله فإن جميع الأنبياء لم يستطيعوا إدراك هذا المقام، لأنه يمثل كينونة الله.

ثانياً: عرش اللاهوت، ومقام جنَّة الصمدية، و"ساحة القدس" وهذا المقام هو: "عالم الله بالنسبة إلى مظاهره وأصفيائه المختارين" ويبدو أنه مقام الذي تعتبره الصوفية مقام التوحد، لأن البهائية أنفسهم يسمونه نقلا عن الباهاء بمقام "هو هو وليس أحداً إلا هو".

ثالثاً: ططماطم الجبروت" و"أرض الصفراء" و"جنَّة الواحدية" وهو مقام "أنت هو وهو أنت" وقد عبَّر عنه صاحب كتاب ظهور البهاء بأنه: "وهو مقام أنت هو وهو أنت، عباد الذين لا ينطقون إلا بأذن الله ولا يعملون إلا بأمره ولا ينهون إلا بحكمه، كما وصفهم الله بأنهم عباد

مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. ويبدو أن هذا العالم هو الملكوت الذي يكون فيه المختارون من خلق الله، بالنسبة المخلوقات، مخولين بسلطته.

رابعاً: عالم "قمقام الملكوت" أي "مملكة الله" و"جنَّة العدل")) (ظهور حضرة بهاء الله، ص٦٠-٦١).ويمكننا أن نعود إلى ما كتبه بهاء الله نفسه وما كتبه ولده من بعده، عبد البهاء وحفيده شوقي أفندي، من الكتابات التي تصرح بكون الدين البهائي دين عرفان وتصوف:

حيث وصف شوقي أفندي كتاب "جواهر الأسرار" بأنه "أعظم أثر عرفاني (جواهر الأسرار، ٢٠٠٣، ص ب) كما أن بهاء الله نفسه يقول في آثار القلم الأعلى: ((قُم على خدمتي وثنائي بين عبادي أن اخرج عن خلف حجاب الصمت باسم ربك الرحمن بالحكمة والبيان قل يا قوم تالله لقد اشرقت شمس العرفان وأتى السبحان بسلطان مبين)) (آثار القلم الأعلى، فقرة "٤"). لا بل أن البهائي يقرأ في الصلاة الصغرى، وهي صلاة تؤدى كل 24 ساعة حين الزوال، الفقرة التالية: ((أَشْهَدُ يَا إِلَهِي بِأَنَّكَ خَلَقْتَنِيْ لِعِرْفَانِكَ وَعِبَادَتِكَ...)). الصلاة الصغرى – حضرة بهاء الله – ملحقات الكتاب الاقدس، الصفحة ١٢١س.

قائمة المصادر

١. زرندي، محمد. ملخص مطالع الأنوار، تاريخ النبيل، تلخيص، نگار نور الدين زين، ت: شوقي أفندي رباني، ١٩٩٧.
٢. زرندي، محمد. مطالع الأنوار، عن وقائع الأيام الأولى للأمر البهائي، ت: عبد الجليل سعد، دار البديع، بيروت لبنان، ٢٠٠٨.
٣. آثار القلم الأعلى.
٤. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩.
٥. اوراه، عبد الحسين، الكواكب الدرية في تأريخ ظهور البابية والبهائية، ت: أحمد فائق رشر، المطبعة العربية بمصر، ١٩٢٤.
٦. جولدتسهير، ايجناس، العقيدة والشريعة في الإسلام، نقله إلى العربية وعلق عليه محمد يوسف موسى وآخرون، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٣.
٧. شاه، إدريس، الصوفيون، ت؛ بيومي قنديل، المركزي القومي للترجمة، ط٢، ٢٠١٥.
٨. ظهير، احسان إلهي، البابية عرض ونقد، إدارة ترجمان السنة، ط٢، ١٩٨١.
٩. عباس، قاسم محمد، أبو يزيد البسطامي، المجموعة الصوفية الكاملة، دار المدى، ط١، ٢٠٠٤..
١٠. عبد الرحمن، د. عائشة، بنت الشاطئ، قراءة في وثائق البهائية، مركز الاهرام للترجمة والنشر، ط١، ١٩٨٦.
١١. محيي الدين ابن عربي، الفتوحيات المكية، تحقيق، أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

References:

1. Abbas, Qasim Muhammad, Abu Yazid Al-Bastami, The Complete Sufi Group, Dar Al-Mada, 1st Edition, 2004.
2. Abdul Rahman, Dr. Aisha, Bint Al-Shati, Reading in the Baha'i Documents, Al-Ahram Center for Translation and Publishing, 1st Edition, 1986.
3. Dahir, Ehsan Elahi, Al Babiya, Show and Criticism, Tarjuman Al-Sunna Administration, 2nd Edition, 1981
4. Goldzheir, Ignas, The Belief and Sharia in Islam, Transcribed into Arabic and commented by Muhammad Yusef Musa and others, National Center for Translation, 2013.
5. Muhyiddin Ibn Arabi, Meccan Futuhiyat, investigation, Ahmad Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon.
6. Shah Idris, mystics, t; Bayoumi Kandil, National Center for Translation, 2nd Edition, 2015.
7. The International Arab Encyclopedia, Encyclopedia Works Foundation for Publishing and Distribution, 2nd Edition, 1999.
8. Top pen effects.
9. Uraah, Abd Al-Hussein, Al-Kawakeb Al-Duriya in the History of the Emergence of Al-Babi and Baha'i, T: Ahmed Faiq Rushar, The Arab Press in Egypt, 1924.
10. Zarandi, Muhammad. Mutale` Al-Anwar, on the facts of the early days of the Baha'i Order, T: Abd al-Jalil Sa`d, Dar al-Badi`, Beirut, Lebanon, 2008.
11. Zarandi, Muhammad. Summary of Mutali` al-Anwar, History of the Noble, Summary, Nagar Nur al-Din Zain, T: Shawqi Effendi Rabbani, 1997.